

وصف مدينة الرياض في الأدب الأردني

بين عامي ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م و ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م

أ . د . سمير عبد الحميد إبراهيم *

مدخل :

إذا كان وصف مدينة الرياض في الأدب الأردني قد تأخر قليلاً ، نظراً لأسباب يطول شرحها ، إلا أن ذكر منطقة نجد قد ورد في الأشعار وكتابات أدباء شبه القارة الهندية منذ فترة بعيدة ، وبالتحديد سنة ١٨٨٧م حين رسم لها أديب الأردية مرزا محمد هادي رسوا^(١) في مسرحيته "ليلي مجنون" التي ذكرها في مقدمتها ما يلي :

"... راودني هذا العام أمر جديد ، فأردت أن أكتب حكاية ليلي والمجنون ، وأن أرسم خريطة لدروب نجد وأسواقها ، ولصحرائها وهضابها ..."(٢) .

(١) ولد في يناير أو فبراير سنة ١٨٥٨م في مدينة لكهنو بشمال الهند وكان يجيد الفارسية والعربية علاوة على الأردية ويقول العلامة عبدالمجد الدريابادي يعد محمد هادي رسوا ثروة قومية لمسلمي الهند ، برع في علم الفلك والكيمياء زيادة على الأدب انظر صورة نجد في الأدب الأردني ليلي والمجنون لمرزا رسوا نموذجاً لكاتب السطور تحت الطبع وانظر مرزا رسوا مرقع ليلي مجنون مجلس ترقى أدب أردو لاهور ١٩٦٣م ص٧ وما بعدها) .

(٢) مرقع ليلي مجنون مجلس ترقى أدب لاهور ١٩٦٣م ص ١ .

* أستاذ باحث في عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، متخصص في لغات الشعوب الإسلامية وآدابها "الأردية والفارسية" وله إلمام باللغتين اليابانية والإنجليزية . له أعمال أدبية وتاريخية منشورة ، وترجمات إلى اللغة العربية .

ثم رسم الأديب صورة لنجد ، ضمنها مسرحيته الشعرية سابقة الذكر وجاءت عناوين مسرحيته أحياناً لتدل على مواقع الأحداث مثل : الصحراء - غار نجد ^(١) ووادي نجد ^(٢) دروب نجد وأسواقها ^(٣) .

أما الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال فقد أشار إلى نجد في أشعاره، وتحدث عنها كما يتحدث عنها الأدباء في أشعارهم ؛ لأنها تمثل رمزاً لدى شعراء الشرق المسلمين ، يقول إقبال في إحدى قصائده التي يمدح فيها الرسول ﷺ :

مهجة المسلم مثوى المصطفى	عزة المسلم ذكرى المصطفى
خلوات في حراء خلقا	أمة منها وحكما مشرقا
كم ليال قد قضاها ساهدا	محباً الأمة ملكا خالدا
عشقه في القلب نور أسفرا	للثريا يرتقي منه الثرى
ترب نجد منه قد خف وضاء	طار وجدا مصعدا نحو السماء ^(٤)

ثم يرسم صورة جميلة لوادي نجد إلا أنه حزين فلم يعد يسمع أصوات القوافل الراحلة، ولم يعد هناك قيس الذي يجن بمنظر المحمل (الذي يحمل ليلاه) والشعر الأردني الذي نظمه هنا من أجمل ما نظم إقبال ^(٥) :

وادي نجد مين وه شور سلاسل نه رها

قيس ديوانه نظاره محمل نه رها

(١) المصدر السابق ص ١٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٣ وأيضاً ص ١٤١ وأيضاً ص ١٤٦ حيث ورد ذكر صحراء نجد .

(٣) ص ١٤٨ .

(٤) عبدالوهاب عزام ، الأسرار والرموز تحقيق سمير عبدالحميد المكتبة العلمية ص ١٩ .

(٥) كلييات إقبال الأردنية ط لاهور .

حوصلـ وه نه رهـ هم نه رهـ دل نه رها
كهر يه اجراه كه تو رونق محفل نه رها
يقول ما ترجمته شعراً^(١) :

ما زال قيس والغرام كعهده
وربوع ليلى في ربيع جمالها
وهضاب نجد في مراعيها المها
وظباؤها الخفرات ملء جبالها
والعشق فياض وأمة أحمد
يتحفز التاريخ لاستقبالها
لو حاولت فوق السماء مكانة
رفت على شمس الضحى بهلالها
ما بالها تلقى الجود عواثرا
وتصدها الأيام عن آمالها

فهو هنا يلمح إلى جهود الملك عبدالعزيز ومستقبل الأمة الإسلامية الذي
سيزدهر :

يتحفز التاريخ لاستقبالها ! ويقول إقبال أيضاً :
قلت عن أحباب نجد قصتي حدثت عن روضة نجد نفحتي
فأضاء الحفل من لحنى إياه ودرى قومي أسرار الحياة^(٢)

(١) الأعظمي والصاوي شعلان ، فلسفة إقبال ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢) انظر سمير عبدالحميد إبراهيم ، إقبال والعرب مقال نشر بمجلة جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية العدد الخامس محرم ١٤١٢ هـ / يوليو ١٩٩١ م .

أما ذكر الرياض قديماً في النثر الفني الأردني ، فنلاحظه فيما كتبه القاضي محمد سليمان منصور بوري^(١) في كتابه سفرنامه حجاز أي الرحلة الحجازية ، فقد ذكر نجداً^(٢) وقال عن الرياض .

"... والرياض هي العاصمة حيث توجد حكومة الأسرة السعودية ، يكثُر فيها النخيل ، وتكثر فيها الحيوانات ، وبخاصة الخيل والإبل والخراف والماعز ، ومعظم السكان هنا بدو رحل ، ويقدر عددهم بخمسمائة ألف ، وهم يتبعون المذهب الحنبلي .. وتتصل بمحافظة الأحساء ..."^(٣) .

صورة الرياض في الأدب الأردني أواخر سنة ١٣٦٨هـ / أواخر سنة ١٩٤٩م :

لا شك أن توحيد الجزيرة العربية على يد المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود كان له أعظم الأثر ليس فقط على جزيرة العرب، ولكن أيضاً على مسلمي العالم الإسلامي، وبخاصة في شبه القارة الهندية الباكستانية^(٤) .. وليس من العجيب القول بأن قيام المملكة العربية السعودية ، غير مسار الرحلة الأردنية ، التي اقتصر من قبل على مسار اليمن جدة أو اليمن فالسويس ومنها إلى جدة،

(١) عالم وأديب هندي من جامعة أهل السلف بالهند ولد في بلدة منصور بور بالبنجاب (الآن في الهند) وذلك في سنة ١٨٦٧م / ١٢٨٤هـ ، له كتب في السيرة النبوية وفي التفسير وفي أدب الرحلة انظر سيرته في مقدمة كتاب رحمة للعالمين ترجمة د . سمير عبدالحميد إبراهيم ط دار السلام بالرياض ١٤١٧هـ .

(٢) قاضي محمد سليمان ، سفرنامه حجاز ط٢ لاهور سنة ١٩٨٦م ص٣٣ وما بعدها .

(٣) سمير عبدالحميد إبراهيم ، الجزيرة العربية في أدب الرحلة الأردني ط جامعة الإمام ١٤٢٠هـ ص١٨٩ وما بعدها .

(٤) انظر الجزيرة العربية في أدب الرحلة الأردني الفصل السادس تأسيس المملكة العربية السعودية وأثره على اتجاهات الرحلة الأردنية (المكان والمحتوى) ص٢٦٣ وما بعدها .

فقد بدأ الرحالة الأدباء من شبه القارة الهندية الباكستانية ، يدخلون إلى الأراضي الحجازية من شرق المملكة العربية السعودية ، عن طريق العراق والكويت ، قبل استخدام الطائرات .. وهكذا فعل العالم الجليل الشيخ مسعود عالم الندوي ، الذي قدم إلى المملكة العربية السعودية بهدف أداء فريضة الحج ، وبهدف زيارة نجد وأهلها للوقوف على تأثير الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب .. وبهدف البحث عن إجابة لبعض استفساراته عن دعوة الشيخ ، وذلك بمساعدة علماء نجد وأيضاً بهدف سماع اللغة العربية الجميلة التي تنتشر بين أهل نجد (١) .

وصل الشيخ مسعود عالم الندوي إلى الرياض - كما ذكر في رحلته - يوم الخميس الثامن من ذي القعدة سنة ١٣٦٨هـ الموافق لأول سبتمبر سنة ١٩٤٩م ، وقد وصف في كتابه "شهور في ديار العرب" المنطقة المحيطة بالرياض فكتب ما يلي :

"الرياض قصبة في بلاد عارض ، وعارض هي مسكن بني تميم القديم ، والجزء الأكبر منها منطقة جبلية ، وتبدو المنطقة بين الرماح والرياض منطقة جبلية ، والطريق يمر وسط أرض حجرية ، صلبة غير مستوية ، ترتفع وتنخفض ، وأحياناً ما تشاهد آثار قنوات صغيرة ، غالباً ما تنساب فيها المياه المتدفقة من الهضاب العالية ، إذا ما سقطت الأمطار" .

ثم يذكر الرياض وما صارت عليه في عهد الملك عبدالعزيز : "يتولى جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود حكم البلاد منذ ٤٩ سنة وفي

(١) انظر مسعود عالم الندوي ، شهور في ديار العرب ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم ، مكتبة الملك

عبدالعزیز بالرياض ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م الصفحات المتعلقة .

عده ازدهرت إمارة الرياض بشكل ملحوظ ، بعد تأسيسه للمملكة العربية السعودية ، وبعد اكتشاف البترول في المنطقة الشرقية من المملكة ، وقد أدى اكتشاف البترول إلى ظهور نتائج عديدة .. وهكذا يقرض الملك عبدالعزيز اليوم ، ملك الوادي " غير ذي زرع " حكام بلد مثل سوريا ملايين الروبيات !!» (١) .

«ويلقب الملك عبدالعزيز الذي ينتمي إلى نجد ، وكان أميراً عليها ، بلقب جلاله الملك عبدالعزيز ، وهو يستأثر اليوم بإعجاب الناس ، ويجذب الكثيرين بشخصيته الرائعة» (٢) .

ويذكر المؤلف أنه حين وصل إلى الرياض لم يجد فيها فنادق ، كما أنه لم يكن له معارف أو أصدقاء ، واعتقد أنه يمكنه أن يستأجر بيتاً ، يقول :

"كنا قد عرفنا أثناء إقامتنا بالكويت أنه يمكن الحصول في الرياض على بيت للإيجار لفترة معينة ، فتركت محمد عاصم يحرس أمتعتنا وعفشنا ، وحملت حقيبتي وخرجت بحثاً عن بيت للإيجار ، لكنني للأسف لم أصادف إلا الفشل !! .

أولاً : لأنني لم أجد أي بيت للإيجار .

وثانياً : كلما وجدت مكاناً معروضاً للسكن ، وجدته ضيقاً مظلماً يصعب علينا أن نقضي فيه ساعة واحدة» (٣) .

ويصف بلاط الملك عبدالعزيز هكذا :

"بعد مدة طلبت للسلام على الملك عبدالعزيز ، فدخلت إلى بلاد جلاله

(١) مسعود عالم الندوي ، شهور في ديار العرب ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم ص ٣٣٢ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) شهور في ديار العرب ص ٣٣٤ .

الملك عبدالعزيز ، صالة كبيرة ، مهيبة ، مفروشة بالسجاد الفخم النظيف ، صفت الكراسي "والطاولات" .. وكان هناك حاجب وحراس يقفون خارج الصالة ، وفي الداخل وعلى الجانب الأيمن ، على مسافة معينة جلس شخص ، وبناء على إرشادات أحد المسؤولين تركت باباً ودخلت من باب آخر ، ثم جلست على يمين السلطان ، تاركاً بيني وبينه كرسيّاً خالياً ...» (١) .
كما يصف "دار الضيافة الملكية" :

توجد هنا داران للضيافة ، در خاصة بالعرب وأهل نجد والقبائل ، ويطلق عليها دار الضيافة الداخلية ، ودار أخرى خاصة بالمسؤولين الحكوميين الكبار والأجانب ، ويطلق عليها دار الضيافة الخارجية ، وقد أقمنا في هذه الدار ، خصصت لنا حجرة واسعة فسيحة ونظيفة ، مفروشة بالسجاد ، ويوجد سرير للنوم ، ولا يوجد كراسي أو "طاولات" ، ولما كنت قد تعودت أن أكتب مستنداً على "الطاولة" ، فقد طلبت من مدير دار الضيافة أن يزودنا بكرسي و"طاولة" ، وذلك حين سألتني عما أحتاج .

كان كل شيء في متناول أيدينا : الطعام ، والمشروبات ، والشاي وطعام الفطور ، وغير ذلك من ضروريات ، فنحن أولاً وأخيراً ضيوف جلالة الملك ، كانت الدار تعج بالموظفين والخدم ، وبكثرة ملحوظة ...» (٢) .

جولة في الرياض :

تجولنا في السوق ، شوارع ضيقة ، بل هي حواري شبيهة بأسواق القرى عندنا .. كان علينا تبديل بعض الروبيات ، فذهبنا إلى الصراف ... بينما كنا

(١) نفسه ص ٣٣٧ .

(٢) نفسه ٣٣٩ - ٣٤٠ .

نتجول هنا وهناك ، تراءت لنا مكتبة لبيع الكتب ، كنت قد سمعت عنها في بغداد من محمد الخطيب ، فهي المكتبة الوحيدة في الرياض ، وصاحبها يدعى حسن الشنقيطي وهو من سكان المغرب الأقصى (مراكش) يتميز بذوقه الأدبي الرفيع ، وتعد مكتبته هذه أيضاً داراً للمطالعة ، تصله الصحف اليومية من مصر بالطائرة ، وفي المساء يفد عليه جمهور الشباب ^(١) .

مسجد القصر في الرياض :

وصف الندوي مسجد القصر هكذا : صلينا الجمعة في مسجد قريب من القصر الجديد ، وفي الطابق الثاني من هذا المسجد يؤدي الملك وولي العهد الصلاة .. لقد دخلت المدينة جميع شعب الحياة في نجد ، لكن المساجد لا تزال طاهرة من هذه المدنية فعلى الرغم من أن هذا مسجد القصر إلا أنه مسجد بسيط ، يسجد المصلون على الحصباء ، وأحياناً ما يكون هنا ألم من هذا ، لكن الناس هنا اعتادوا على هذا ، كما أنه لا توجد مراوح أو كهرباء أو أي نوع من الزخرفة والزركشة ، بساطة في بساطة ، فناء واسع فسيح ، أرضية المسجد البسيطة .. ويمضي المصلون بأحذيتهم دون تكلف ، وعلى الرغم من اتساع المسجد إلا أنه امتلاً بالمصلين ^(٢) .

المزيد من وصف الرياض :

بعد أن تجول الشيخ مسعود عالم الندوي في الرياض عدة جولات أنس الرياض وأهلها ووصفها هكذا : "تجولنا في المدينة أكثر من مرة ، وهي على الطراز القديم تماماً ، الحواري ضيقة ، والبيوت من الطين اللبن ، وفي الليل

(١) نفسه ٣٤٢ وما بعدها .

(٢) شهور في ديار العرب ص ٣٤١ .

تتراعى بعض الأنوار الكهربائية في أماكن متفرقة ، وقد عرفنا أن هذه أحياء الأمراء ، والعاملين معهم ، فقد وصلت محطة لتوليد الكهرباء ، والإضاءة الآن قاصرة على القصر الملكي ، وأفراد الأسرة المالكة ، والأسرة المالكة - ما شاء الله - متفرعة كثيراً ، فالملك عبدالعزيز اتبع سياسة مصاهرة القبائل ، وكذلك ولي العهد .. وتتبع الأسرة هذا المسلك ولهذا فسوف يصل عدد أفرادها في المستقبل إلى عدد أفراد محافظة بأكملها ^(١) .

والسيارات هنا كثيرة ، إلا أن كثرتها في الحواري الضيقة ، وعلى الطرق غير الممهدة تؤذي الكثيرين ، ففي كل آن وحين يتعرض الناس للغبار والتراب ، ويمثل هذا لمرضى الربو من أمثالي عذاباً مستمراً .. وهذه السيارات من أحدث طراز ، ويمتلكها أفراد الأسرة المالكة ، وكذا المسؤولين الكبار في الحكومة ، فأهل المدينة عامة يميلون إلى الحياة البدوية ، ولا تجدد في الرياض كلها سيارة أجرة ، أما العربة الحنطور التي تجرها الخيول ، والركشا (الهندية الباكستانية) والعربة الكارو وما شابه ذلك ، فهي أشياء غير معروفة هنا ، ولا تسأل بعد ذلك عن الحافلات أو الترام !! فالإنسان هنا يعتمد اعتماداً كلياً على الحكومة !! .

توجد بعض الشوارع المرصوفة بالإسفلت خارج نطاق المدينة ، ومن بينها شارع يصل إلى المطار ، فالمطار بعيد جداً ، وإذا ما أراد إنسان عادي الذهاب إليه ، وجد نفسه مضطراً إلى طلب ذلك من أحد الأسرة المالكة أو من مسؤول كبير في الحكومة ، ويمتلك التجار عربات نقل بضائع ، وهذه الناقلات هي التي تتحرك على الطريق الواصل بين الرياض ومكة المكرمة ، ويستخدمها عامة

(١) نفسه ص ٣٤٦ .

المسافرين والحجاج ، ويدفعون أجره زهيدة ، وهي ثلاثون ريالاً على الأكثر ، ويمكن مناقشة الأمر ودفع مبلغ أقل من هذا (١) .

كرم أهل الرياض :

تحدث الشيخ الندوي في مواضع كثيرة من كتابه عن كرم أهل الرياض واحتفائهم بالضيف، وننقل هنا بعض ما جاء في كتابه شهور في ديار العرب : "بعد قليل حضر الشيخ عمر بن حسن ، وكان كرمًا وفضلاً كبيراً منه أن يشرفني بهذه الزيارة ، فهؤلاء الشيوخ الذين ينتمون إلى آل الشيخ لهم مكانة عظيمة ، تلي مكانة الأسرة المالكة ... (٢) .

وجاءني اليوم أيضاً عالم آخر هو الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبداللطيف ، فتحدثت معه لفترة .. وأصر على دعوتي إلى بيته ، ثم قال : سوف آتي لأخذكم بالسيارة غداً .. لم نذهب إلى المدينة ليومين كاملين ، فبدأ أهل العلم وغيرهم يفدون للسؤال عن صحتنا ، وبالأمس جاء الشيخ عمر بن حسن ، والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبداللطيف ، واليوم أكرمني الشيخ عبدالعزيز بن باز (قاضي الخرج) بزيارته مع تلاميذه ومعتقديه ، والمسكين مكفوف البصر ، ولهذا ترك هذا الأمر في نفسي أثراً كبيراً ، فقد كلف نفسه مشقة القدوم ، وهذا فضل كبير منه ، وكما أنه رجل عالم يتقلد منصباً رفيعاً أكبر من كل هذا وذلك أنه لا يدانيه أحد في جرأته على قول الحق ، ويتعرض أحياناً للعتاب بسبب هذه الجرأة ... (٣) .

(١) نفسه ص ٣٤٧ .

(٢) نفسه ص ٣٦٠ .

(٣) نفسه ص ٣٦٤ وما بعدها .

نقل البريد بين الرياض ومدن المملكة :

ذكر المؤلف ضمناً كيف يتم نقل البريد ، فذكر وهو يتحدث عن سفره من الرياض إلى مكة المكرمة ما يلي : "... في تمام الساعة الحادية عشرة (الخامسة طبقاً للتوقيت العربي) زف إلى سكرتير ولي العهد بشرى طيبة ، فاليوم تتحرك عربة البريد ، إذن سيكون السفر بعد العصر ، وسوف يتولى مدير دار الضيافة بقية الإجراءات ، تذهب عربة البريد الخاص من الرياض ثلاث مرات في الأسبوع ، بصورة منتظمة للغاية ، أما البريد العادي فينقل مرة واحدة في الأسبوع ، وقد يتأخر ذلك أيضاً لفترة أطول ، ويمكن لأربعة مسافرين ، السفر في عربة البريد بناء على أوامر من الحكومة ، وعربات البريد أكثر أمناً وطمأنينة من الناقلات العامة الأخرى ، فإذا ما حدث فيها عطل في الطريق - لا قدر الله - طلب السائق العون باللاسلكي من محطة أخرى ، وهناك عدة محطات متفرقة في الطريق الذي يربط بين مكة المكرمة والرياض" (١) .

مدارس الرياض :

كما ذكر المؤلف أيضاً شيئاً عن مدارس الرياض :

"... زرت في معية الشنقيطي المدرسة التي يعمل فيها ليلاً ، توجد في الرياض ثلاث مدارس فقط ، ولا توجد مدارس ثانوية ، كما توجد مدرسة على النظام القديم ، وتوجد مجالس للدرس في بيوت العلماء ، ويعتبر السند الذي يعطيه هؤلاء العلماء للدارسين شهادة دراسية ، ويوجد في الحجاز مدارس ثانوية ، إلا أن الوضع في الرياض مختلف ، فنظراً لمعارضة العلماء ، لا يمكن

(١) نفسه ص ٣٦٦ وما بعدها .

إنشاء مدرسة على الطراز الحديث ، والسؤال هو : كيف يمكن لمدينة بأكملها أن تنال تعليمها من خلال ثلاث مدارس ابتدائية؟! (١) .

كانت المدرسة التي زرناها هي مدرسة العزيزية حيث كان الشنقيطي يعمل مدرساً ، تجولنا في المدرسة ، وألقينا عليها نظرة سريعة ، وكان هناك فصل يدرس للأطفال العرب تجويد القرآن ، فاستمتعت كثيراً بالاستماع إليهم ، ولفني شعور بالسعادة والفرح والهيام ، صوت جميل عذب ، وسط مشاعري القلقة ، فشعرت بشذا عبير ليلي .

... ألقينا بنظرة سريعة على المدرسة ، استمعنا إلى تلاوة من أي الذكر الحكيم على لسان أحد الأطفال ، وبإصرار شديد من ناظر المدرسة ، وهل هناك ما هو أطيب من الاستماع إلى القرآن الكريم ، وبخاصة من طفل عربي ، وقطع وصول عربية دار الضيافة علينا متعتنا ، فقد كان السائق على عجل ، ولهذا لم نتمكن من التمتع أكثر ، ولم تكن لدي همة لصرف السائق ، والعودة تحت أشعة الشمس المحرقة" (٢) .

وصف الرياض في الأدب الأردني سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م :

بعد عشر سنوات من زيارة الشيخ مسعود عالم الندوي للرياض وبالتحديد في سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م قدم العلامة الشيخ أبو الأعلى المودودي (٣) إلى المملكة العربية السعودية في رحلة علمية ، فطاف بربوع

(١) نفسه ص ٣٧١ .

(٢) نفسه ص ٣٧٢ .

(٣) من علماء شبه القارة الهندية الباكستانية ، أسس الجماعة الإسلامية في الهند وانتقل بعد التقسيم إلى باكستان للمزيد من التفاصيل انظر سمير عبدالحמיד "أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته" دار الأنصار القاهرة ١٩٨٠م وللمؤلف نفسه الأدب الأردني الإسلامي نشر جامعة الإمام بالرياض .

المملكة العربية السعودية ، وسطر مرافقه عاصم حداد مذكرات هذه الرحلة في كتاب بعنوان "سفرنامه أرض قرآن" ^(١) أي رحلة في أرض القرآن ، ومن الجدير بالذكر أن عاصم حداد كان مرافقاً للشيخ مسعود عالم الندوي في رحلته سنة ١٣٦٩هـ ، فكتب عن رياض سنة ١٣٧٩هـ حين زارها مع المودودي وقارن بينها وبين رياض ١٣٦٩هـ حين زارها مع الندوي وجاء ذكر الرياض بداية هكذا: "الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، تقع بالقرب من وادي حنيفة والمنطقة التي تقع فيها من نجد تسمى عارض ... واشتهرت الرياض منذ القديم ببساتينها وخضرتها ولهذا سميت بالرياض جمع روضة ... " ^(٢) .

"وصلنا الرياض في الساعة الواحدة صباحاً ، ركبنا سيارة أجرة ومضينا في شوارعها .. شوارع واسعة ومبان رائعة ، شيدت على الطراز الحديث ، وأسواق ممتدة هنا وهناك ، وكهرباء موزعة بطريقة جميلة في نظام بديع ، وعلى الرغم من أن المحلات كانت مغلقة لكن يبدو أن الرياض خلال السنوات القليلة الماضية اتسعت كثيراً وصارت مدينة من الطراز الحديث" ^(٣) .

ثم يعقد مقارنة بين ما رآه منذ عشر سنوات وما يراه الآن : "في سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩م حين قدمت الرياض مع الشيخ مسعود عالم الندوي ، كانت الرياض بلدة صغيرة عادية ، شبيهة بقرية من قرى شبه القارة الهندية ، لم يكن هناك سوق كبير ، ولم نمض على طريق مرصوف معبد ، سوى على طريق واحد

(١) عاصم حداد ، سفرنامه أرض القرآن روداسفر مولانا "سيد أبو الأعلى المودودي" ط . الثامنة لاهور ١٩٩١م .

(٢) انظر سمير عبدالمحميد نوح ، الجزيرة العربية في أدب الرحلة الأردني ط . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٣٥١ .

(٣) انظر الجزيرة العربية في أدب الرحلة الأردني ، ص ٣٥١ .

يربط المدينة بالمطار ، كانت هناك كهرباء ، لكنها كانت قاصرة على قصر الملك وقصور الأمراء .. وكانت الشوارع ضيقة والحواري تمضي ملتوية ، مع وجود بعض المحلات الصغيرة يطلق عليها سوق .. لم يكن هناك أي فندق ، ولم تكن هناك سيارات أجرة ، وجميع البيوت حتى القصر الملكي ، وقصور الأمراء كانت مشيدة بالطين واللبن .. وبالتأكيد بدأت مرحلة البناء والتشييد ، وبدت خريطة الرياض وقد تغيرت تماماً^(١) .

وصف دار الضيافة ومباني الرياض وشوارعها سنة ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م :
وقد نزل الشيخ المودودي في نفس دار الضيافة التي نزل فيها الشيخ مسعود عالم الندوي ، لكن الأمور تغيرت ، مع ما تحقق من نهضة عمرانية سريعة في عهد الملك عبدالعزيز وأنجاله ، جاء وصف دار الضيافة في كتاب "سفرنامه أرض القرآن" هكذا : "... تغيرت دار الضيافة تماماً ، ففي السابق كانت من الطوب اللبن ، والآن أعيد بناؤها بالأسمنت والخرسانة ، وصار مبناها مدعاة للفخر .." .

".. ذهبنا لزيارة الأستاذ عبدالحكيم عابدين الذي كان ينزل في فندق زهرة الشرق أفخم فنادق الرياض ، ويقع في أجمل شوارع الرياض شارع المطار.. جميع غرفه مكيفة والأجرة ستون ريالاً أي ٧٨ روبية للشخص في اليوم الواحد ، وعظمة هذا الفندق وجماله تجعلني أجزم بأنه لا يوجد مثيل له في باكستان أو مصر أو الشام أو العراق .. أما عن جمال وروعة شارع المطار فحدث ولا حرج ، لا يمكن أن يوجد له مثيل في كراتشي أو لا هور ، وعلى

(١) انظر النص الأصل سفرنامه أرض القرآن ص ٨٥ ، والمصدر السابق ص ٣٥١ - ٣٥٢ .

جانبيه تقع المباني الرائعة لوزارة الزراعة والمالية والتعليم والمواصلات وغيرها ، وقد أنفق على بناء كل واحد منها ملايين الروبيات ، وكلها بنيت على الطريقة الحديثة ، ويعد كل مبنى من هذه المباني عقداً فريداً في معماره ... " (١) .

وأشاد الكاتب بالنهضة العمرانية والتطور الحضاري الذي شهدته مدينة الرياض : "مر السائق بنا على شارع المطار وشارع الجامعة المضاء بالكهرباء بطريقة جذابة وجميلة .. ويقال إن الحكومة السعودية أنفقت على تعبيد شوارع الرياض وتنظيمها ما يقرب من ٦٥,٣٣٧,١٦٨ روبية .. مضى بنا السائق إلى قصر الناصرية قصر الملك سعود الذي لا يمكن وصف جماله وروعته وعمارته ، فالقلم يقصر عن ذلك .. حديقة رائعة طولها ميل ، وعرضها نصف ميل يتوسطها القصر الفخم ومما هو جدير بالذكر أنه مسموح للناس كافة بالدخول إلى الحديقة والتجول فيها والتمتع بها والتجول في القصر ، والتفسيح حوله أيضاً ، فكل من يريد الفسحة والنزهة يمكنه أن يتفسيح هنا (٢) .

يصف الكاتب كيف تحولت الرياض القديمة بالتدرج إلى مدينة حديثة فيذكر أن : " .. في الطريق أدركنا أن الرياض القديمة لا تزال قائمة أيضاً ، فلا تزال الشوارع الضيقة والبيوت المقامة بالطين : اللبن موجودة لم تهدم بعد ، وهي تناسب تماماً جو المنطقة ، فالبيوت المشيدة بالخرسانة لا تناسب فصل الصيف ولا فصل الشتاء ، وبدون مكيفات تصعب الإقامة فيها ، وعلى الرغم من هذا فيتم الآن تهديم البيوت القديمة ، وبناء بيوت حديثة مكانها ، وهناك أمل أن يتم بناء المدينة بأكملها على الطراز الحديث خلال السنوات الثماني القادمة .

(١) الجزيرة العربية في أدب الرحلة الأردني ص ٣٥٢ .

(٢) سفرنامه أرض القرآن ص ٩٦ .

الضيافة والكرم العربي :

أشاد الكاتب بكرم الضيافة العربية ووصف طريقة استقبال أهل الرياض للضيوف ومراسم الاستقبال المتمثلة في الجلسة التي تبدأ بالبخور ثم فناجين القهوة وأكواب الشاي ، ووصف بدقة شكل المبخرة وكيفية تقديم القهوة العربية^(١) .

السوق والمرأة العاملة في الرياض :

مما لفت انتباه الكاتب وجود المرأة العاملة في الرياض في تلك الفترة ، وقد ذكر تلك الحقيقة ضمناً وهو يتحدث عن السوق في الرياض : "ذهبنا لزيارة الشيخ مناع القطان الذي كان يقيم بجوار سوق الخضار ، وهناك في السوق رأينا قسماً للنساء ، تبيع فيه النسوة فقط دون الرجال ، كن يقمن ببيع الملابس والأواني والأوعية ، والطيور الداجنة والبيض وأشياء أخرى ، وكان الزبائن أيضاً من النساء دون الرجال ، ولم نر من بينهن واحدة بدون حجاب .. شاهدنا هذا السوق هنا وتعجبنا ممن يقولون إن المرأة لا يمكن أن تعمل وهي محجبة وقرأنا الفاتحة على عقولهم ؟ ^(٢) الرحلة ص ٩٧" .

التعليم والعلماء في الرياض :

التقى الشيخ المودودي بالكثير من علماء الرياض وعلى رأسهم الشيخ عبدالله المسعري سكرتير وزارة العدل يومئذ وبالمفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم وبالشيخ عمر بن حسن آل الشيخ وبشقيق الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم

(١) سفرنامه أرض القرآن ص ٩٣ وما بعدها والجزيرة العربية ص ٣٥٥ .

(٢) سفرنامه أرض القرآن ٩٧ .

وغيرهم من الأمراء والأدباء مثل الأمير عبدالله بن عبدالرحمن والأمير مساعد بن عبدالرحمن والشيخ حمد الجاسر والشيخ عبدالله بن خميس^(١) ثم تحدث بالتفصيل عن جامعة الملك سعود وعن كلية الشريعة وعن النهضة التي بدأت بتأسيس المدارس والكليات^(٢) .

الطعام العربي :

كما وصف الطعام العربي والمائدة العربية بأسلوب فيه دعابة : " .. انتقلنا بعد ذلك إلى غرفة أخرى للطعام .. وهناك شاهدنا خروفاً ضخماً موضوعاً على المائدة كما هو .. وتعجبنا كيف يطبخ الخروف هكذا ، فقال المفتي : خروف كهذا لا شئى ، منذ سنتين وفي إحدى مناطق الرياض ، وفي دعوة أقامها جلال الملك قام الطباخ السوداني بتقديم جمل مطبوخ بأكمله . فضحك المودودي وقال مازحاً : "لو كان أكل الفيل حلالاً لقام العرب بطبخه أيضاً كاملاً فرد المفتي : نعم ...^(٣) كما وصف الكاتب المكاتب الرسمية والالتزام بالصلاة في تلك المكاتب^(٤) .

خاتمة :

ولا شك أن أدباء الأردية فيما بعد تناولوا في كتاباتهم مدينة الرياض ، وما وصلت إليه من نهضة حضارية وعمرانية ، لكن الباحث يكتفي هنا بالتمودجين السابقين ؛ لأنهما يوضحان تماماً ما طرأ من تغير على مدينة

(١) سفرنامه أرض القرآن صفحات ١٠١ - ١٠٧ - ١١١ - ١١٢ .

(٢) الجزيرة العربية ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) سفرنامه أرض القرآن ص ١٢٦ .

(٤) جزيرة العرب ص ٣٦٧ .

الرياض خلال عشر سنوات ، وكيف كانت الرياض عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م وكيف أصبحت بعد عشر سنوات ، ومن يرى الرياض اليوم يدرك التقدم السريع الذي شهدته هذه المدينة منذ عهد المغفور له الملك عبدالعزيز ، خلال عهود حكم أنجاله البررة ، وصولاً إلى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله .

أهم المصادر والمراجع :

د . سمير عبد الحميد إبراهيم .

- إقبال والعرب مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض العدد الخامس محرم ١٤١٢هـ .

- الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردني ط . جامعة الإمام . ١٤٢٠هـ .

- أبو الأعلى المودودي فكره ودعوته دار الأنصار القاهرة ١٩٨٠م .

عاصم حداد :

- سفرنامه أرض القرآن روداد سفر مولانا أبو الأعلى المودودي (بالأردية) الطبعة الثامنة لاهور ١٩٩١م .

د . عبد الوهاب عزام .

- الأسرار والرموز للشاعر محمد إقبال تحقيق سمير عبد الحميد إبراهيم ط أولى . المكتبة العلمية بلاهور باكستان ١٩٧٨م .

محمد إقبال :

- كليات إقبال (أردو) ط لاهور دون تاريخ .

محمد حسن الأعظمي والصابوي شعلان

- فلسفة إقبال ط القاهرة دون تاريخ .

محمد سليمان منصور بوري (قاضي)

- سفرنامه حجاز (بالأردية) ط ٢ لاهور ١٩٨٦ م .

- رحمة للعالمين ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم ط دار السلام بالرياض

. ١٤١٧ هـ .

مرزا رسوا

- مرقع مجنون ليلي (بالأردية) مجلس ترق أدب أردو لاهور ١٩٦٣ م .

مسعود عالم الندوي

- شهور في ديار العرب ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم نشر مكتبة الملك

عبدالعزیز العامة بالرياض ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .